

شاعرة البنيوية في لوحات جورج رستريبو



بقلم: كارلوس أ. لانزا

تيجوس جالبا، ١٢، أ.ب، ٢٠٠٣

فراغ منظم ربما يكون أفضل طريقة لتعريف النموذج الذي قدمه لنا اليوم الفنان الكولومبي جورج رستريبو في عمله (**The salon of the Pro-Cultural Patrimony Patronate**) في سان سلفادور. يمكن القول ان جميع اللوحات هي فضاء منظم ولكن عمل جورج رستريبو هو ادراك تم تشكيله في الفراغ و تركيب يكشفه كنظام وبنية تماما كما اللغة. من بين طلائع القرن العشرين كان هناك حركة حولت اللغة الى تصوير: التشكيلية الحديثة **Neoplasticism** لمونديان و ثيو فان دوسبيرغ. عمل رستريبو لديه آثار التشكيلية الحديثة والتي تتحول شيئا فشيئا حتى تبلور في صورة تعبر عن النغمة الخاصة للفنان.

و نحن أمام اقتراح لا يسعى لتمثيل العالم الحقيقي ، بل بالأحرى واقع آخر: ذلك الذي تحتفظ الذاكرة به بوصفه تجربة حسية وفكرية. لوحات روستريبو تحول محيط الانسان الى تركيب تشكيلي متعدد الألوان، أو كما في كلمات مونديان: يسعى إلى " تحويل العالم الحقيقي من خلال الأشكال ". ومثال على هذا الاجراء الفكري الدقيق هو سلسلة **Atitlán in the evening** ، في هذه السلسلة تم تبسيط المشهد إلى ما هي عليه ومضة مفاجئة من الضوء وهذه الومضة هي تأثير التباين في درجات الألوان. أولا تتحول التجربة من أمام البحيرة الى صورة مرئية تحتفظ بها الذاكرة، ثم وبوعي يقوم الفنان باختزال هذه التجربة مزيلا كل ما هو عرضي وفي النهاية فقط التجربة الحسية يعبر عنها على ورق الألوان المائية. بكلمات أخرى بنية الألوان: رتبت الألوان بنظام معين مفقده المشهد حقيقته المثالية ليصبح نظاما للضوء.

هذه الطريقة جعلت أعمال ريستريبو قريبة من جماليات موندريان، ولكن النتيجة مختلفة، وهذا ما يتيح للفنان الكولومبي التعبير عن شاعريته الفريدة من نوعها. أنكر فنانون التشكيلية الكلاسيكية المحدثّة التصوير بهدف البحث عن الحقيقة الداخلية، مؤكدين أن حساسية التشكيل هي السبيل الوحيد للتوصل إلى سمو الروح. كان التأصل في الوعي الميتافيزيقي (الغيبي) واضحاً، بينما في ريستريبو لا أرى هذا البحث عن أي حقيقة متسامية أبعد من تلك المتعلقة باللون. في هذا المعنى إن توجه ريستريبو هو واقعي أكثر من كونه ميتافيزيقي، إنه مهتم في تحويل الواقع إلى معلومات تشكيلية لتطوير الأفكار والمفاهيم حول ذلك الواقع. وبذلك يتعد عن ذلك التصرف الذي يرى طقوس العملية المعرفية خاصة للأرواح الزاهدة.

تحتاج مفاتيح المعنى في أعمال ريستريبو لأن تنشُد في الظواهر البصرية. وصحيح أننا نجد في عمل ريستريبو تداخل الخطوط الأفقية والعمودية التي اتسمت بها التشكيلية المحدثّة في مجلة الديشتيل. ومع ذلك فإنه طبقاً لهؤلاء الفنانين فهذه الخطوط العمودية والأفقية في المستوي كانت جزءاً من برنامجهم لتجريد الواقع حتى تم تطهيره من جميع الأكسسوارات والعناصر عديمة الفائدة؛ بينما عند ريستريبو فإن نفس الخطوط هي مجرد إجراء لتوليد الأثر الإيقاعي من خلال الاستمرارية والتجزئة، مما يدل على وجود فضاء متشابك والذي هو بمثابة سيناريو لعمل ملمسه وسطوحه وتبايناته.

في عمل يعد ولاءاً للديشتيل، أنشأ ريستريبو قواعد مختلفة عن جيومترية التشكيلية المحدثّة، فجيومترية هذا العمل أكثر غنائية وعاطفية، في حين بقيت التشكيلية المحدثّة بعيدة عن العواطف معتبرة أنها نتيجة للزهو الروحي للإنسان. في هذا العمل بدأ ريستريبو مندفعاً؛ عند مرحلة معينة تحول الخط إلى بقعة تنفجر في اتجاهات مختلفة. التشكيلية المحدثّة لم تسمح بهذه الحريات، كانت ضرباتهم أكثر توسعاً. وكلما ازداد السلوك التشكيلي صرامة كلما كان الإسراع في الطريق الذي قادهم للبحث عن الأصل في الأمور، وبالتالي لم يستخدموا الخطوط المنحنية لأنهم ربطوها مع هذا الارتباك للروح التي ولدت التوسع. استخدموا ألواناً موحدة، متراصة، مسطحة، نقية، بعيدة عن أي تقرب عاطفي، بينما في عمل ريستريبو رغم أننا لا نرى خطوطاً منحنية، فهناك مصادفة بعض الضربات، اللون في بعض المناطق أكثر كثافة وفي أجزاء أخرى يضعف أو يبدو أكثر شفافية وجنبا إلى جنب مركبا المستوي الجيومتري (**the geometric plane**)، هذا التركيب التشكيلي يجربنا أن عمل ريستريبو أبعد ما يكون عن ممارسة صوفية، من وجهة نظري هو تركيب نظم بواسطة العين وليس بواسطة الروح، هذا لا يعني أن العمل يفتقر للحساسية، أنا ببساطة أؤكد أن حساسية ريستريبو تحد بعملية معرفية و شكلية (**Gestalt**). وهذا قاده لتسليط الضوء على طبيعة عمله التي أخذت منحى الشيء المدرك بالحواس (**Object-Oriented**)، هذا هو، لتسليط الضوء على الحساسية والطاقة المحتواة في الأشياء ولإظهار أن الحقيقة تجد ذاتها خاضعة لقوانين الشكل: التبسيط، التعقيد، التوسع، التناقض، الخ.

هناك أعمال أخرى أجزت في المعرض بصيغ أكبر وهي موجزة لاقتراح الفنان، وفيها يكتسب اللون الكثافة نتيجة للطبقات عندما يقوم ريستريبو بتنفيذ طبقة جديدة مضافة على تركيب جيومتري. هذه الطريقة مكنته من خلق تأثير خلفية قابلة للإنعكاس حيث يمكن لدرجة اللون أن تكون خلفية أو طبقة أولى في آن واحد، مما يخلق شعورا بالعمق في فراغ مستوي. في أعمال أخرى يخلق التباين بين الألوان احساسا بالحركة من الخارج وفي بعضها الآخر يعطي نفس التباين وهما لرحلة بصرية للداخل. يأتي هذا الرسم ويذهب ذاك، رقص للحركات حيث الإيقاع هو اللون والشكل هو الجيومترية، الجيومترية التي تتحول من عمل لآخر في جو يجرر الفضاء من كل جمود.

في مقترح ريستريبو يمكننا الانتقال من المتوقع إلى غير المتوقع، من المقدر إلى الطارئ، من العقلاني إلى البديهي، حقيقة هذا الاقتراح تكمن في التناقضات، والتناقض هو استعارة للحياة جرد ذاتها، لا توجد حياة دون تناقض، دون هذا أو ذاك، في كل مرة نطلق اسم "الواقع" نترك الإمكانية مفتوحة أمام تسمية نقيضه، وبالمثل، وبإجراءات مشابهة، في كل مرة تؤكد أعيننا وجود لون أو شكل في عمل ريستريبو، فإنها تؤكد أيضا على حضور ألوان أو أشكال أخرى، من الغريب أنه في الأساس تركيب أمكن أن تكون فيه هذه الديناميكية، والتي تعد ممكنة لأن الفنان يفترض أن اللون هو حالة من الطاقة يقوم بدور الانفصال والتكوين كفضاء لقيم ذات علاقة مع دور التوحيد. وهكذا لدينا عمل أجز ضمن معايير جيومترية قادر على تقديم ثراء تشكيلي كبير.

وفيما يتعلق باسم المعرض "أزتك" (Aztec)، لا شيء يمكن أن يقال. أعتقد أن الاسم أخذ من المقترح، ولكن بإمكانني الحديث عن اللوحة؛ عن ماذا تتحدث لوحة ريستريبو؟ عن نفسه، لقد سميت بـجوهرة الخاص، انها تشد في ملمسها الخاص، وتؤلّم في كل بقعة، مطبوعة بالشاعرية في كل شكل، ممارستها التاريخية تكمن في إعدادها، هويتها هي اتفاق بين اللوحة وذاكرة الفنان، ومحاولة تجاوز هذا الحد هو انكار الواقع الحقيقي لهذه الأعمال الفنية.

ترجمة : إصباح استيبيّة

Translated by: Isbah Estateyieh - A R C H I T E C T -

Structural Poetics

Carlos Lanza

www.jorgerestrepo.com